علم مبهمات القرآن أهميته وصوره

أ. عادل شواش
جامعة سطيف - الجزائر

نتطرّق في هذا البحث ، للحديث عن أحد المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم ، ألا وهو علم مبهمات القرآن، وقدتناولت أبرز القضايا والمسائل المتعلقة به ، فتكلمت عن مفهومه بمعنييه اللّغوي والاصطلاحي، ثمّ قمت بإبراز قيمة هذا العلم وأهميته من عدة وجوه، وختامًا بينت أقسام مبهمات القرآن وقد جعلتها في قسمين أساسيين أمّا الأوّل منها فهي مبهمات لا يجوز الخوض فيها وطلب معرفتها والقسم الثاني مبهمات جائز طلب معرفتها؛ وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

مفهوم علم المبهمات.

لغة: المبهمات جمعٌ مفرده مبهم، وهو من حيث الاشتقاق والأصل اللّغوي من مادة "بهم"، قال ابنُ فارس: "الباء والهاء والميم أن يَبْقَى الشّيء لا يُعرَف المأتى إليه، يقال هذا أمرٌ مبهم"[1].

وقال أبو منصور بن محمّد الأزهري: "وطريقٌ مبهم؛ إذا كان خفيًّا لا تَستَبِينُ ويقال ضربه فوقع مبهمًا: أي: مغشيًا عليه لا ينطقُ ولا يميزُ "[2].

وقال أبو البقاء: " أُبهِمَ الأَمْرُ اشتبَه، وأَبْهَمَ البابَ أغلَقَه"[3].

وقال الرّاغب الأصفهاني: "وقيل لكل ما يصعُبُ على الحاسَّة إدراكه إن كان محسوسا؛ وعلى الفهم إن كان معقولا: مبهم"[4].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ معنى المبهم في اللّغة يدور حول المعاني الآتية: الخفي، الذي لم يعرف بعد، أو المشكل والمشتبه، أو ما يصعب إدراكه.

اصطلاحًا: وردت تعريفات عدة لعلم المبهمات نقتصر على ذكر أهمّها فيما يلي:

أشار الإمام عبدُ الرّحمان السُّهيلي في مقدمة كتابه "التعريف والإعلام" أثناء ذكره للمقصد الذي من أجله ألّف في هذا الفن إلى تعريف لعلم المبهمات حيث قال: "...ما تضمنّه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم من نبيّ أو وليّ، أو غيرهما من آدمي، أو ملك أو جنّي، أو بلد، أو كوكب، أو شجر أو حيوان، له اسم علم قد عُرف عند نقلة الأخبار والعلماء الأخيار"[5].

وأشار إلى تعريفه أيضًا بدر الدّين ابن جماعة أثناء ذكره للهدف الذي من أجله ألّف كتابه "غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن" فقال: "...أذكر فيه إن شاء الله تعالى اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته أو لقبه، أو كنيته، وأنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعنيّ بالنّاس والمؤمنين إذا ورد لقومٍ مخصوصين، وعدد ما أبهم عدده، وأمد ما لم يبيّن أمده"[6].

وعرّفه الدكتور عبد الجواد خلف بقوله: " الدراسة التّفسيرية التي تتناول آيات القرآن الكريم من حيث معرفة ما أبهم من عدد أو أمد أو اسم أو نسب، بواسطة النّقل المحرر الدّقيق عن ثقات الأمة"[7].

وعرفه الدكتور مساعد الطّيار بقوله: " ما لم يُنَصَّ على ذكرِه من الأسماءِ، وقد يكون الإبهام لعلمٍ أو نبات، أو حيوانٍ أو مكانٍ أو زمانٍ...."[8].

وبالنّظر في تلك التّعاريف وما تضمّنته من حدود يمكن أن أقترح تعريفًا لعلم المبهمات على أنّه: "**كلُّ ما لم يُصرَّحْ باسمِه العَلَمِ أو عددِه أو زمَنِه أو مكَانِه أو غير ذلك، وإنّما ذُكرَ جنسُه أو صفتُه في القرآن الكريم**".

أهمّية علم المبهمات.

تبرز أهمية معرفة علم المبهمات ودراسته في النّقاط الآتية:

أولاً: **كونه من العلوم المتعلقة بكتاب الله عزّ وجلّ**: تبرز قيمة علم المبهمات وأهميته بكونه أحد

العلوم المرتبطة بالكتاب العزيز، وعليه فإنّ موضوع البحث في هذا العلم هو الاشتغال ببيان ما أبهم في آيات الذّكر الحكيم من حيث معرفة ما أبهم عدده أو زمانه أو مكانه أو اسمه أو غير ذلك، وإذا كان أهل كلّ فن يشتغلون بمعرفة أسماء أهل صناعتهم، فالاشتغال بمعرفة أسماء من كتم عنهم القرآن أولى وأجدَر من غيره من الفنون والعلوم، قال الإمام السّهيلي رحمه الله: "وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب، وكذلك أهل كلّ صناعة يَعنُون بأسماء أهل صناعتهم، ويرونه من نفيس بضاعتهم، فالقارئون لكتاب الله أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه، ويتحلوْا بعلم ذلك عند المذاكرة"[9].

وقال كذلك ابن عسكر الغسانيّ: "وإنّ من أشرف علومه وأطرف مفهومه، علم ما أبهم فيه من أسماء الذين نزلت في أوساطهم الآيات، وكانوا سببًا لما فيه من الأخبار والحكايات"[10].

وإلى هذا المعنى أشار الإمامُ البَلَنْسيّرحمه الله تعالى فقال: " وإذا كانت الأدباء تتدارس علم ما أبهم من أسماء الشّعراء، وتتنافس في ذكر طبقاتهم وأخبارهم للأمراء، فالقارئون لكتاب الله بذلك أحرى، وعلى سنن الصّالحين أجرى، فبركة القرآن تزيد الرّيان وتروي الظمآن "[11].

ثانيًا: كونه قد عَنيَ به السّلف الصّالح:

وذلك بسؤالهم للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلم، أو بسؤال بعضهم لبعض ممّن يَعرفون أنّ لديه العلم ببيان مبهمات القرآن، قال الإمام السّيوطي: "علم المبهمات علم شريف اعتنى به السّلف كثيرًا..."[12]، والأمثلة على ذلك ما يلي:

1- ما روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، قال: مرَّ بي عبد الرّحمانِ بنُ أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قلتُ له: كيف سمعتَ أباكَ يذكرُ في المسجدِ الذي أسِّسَ على التَّقوى؟ قال: قالَ أبي: دخلتُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم في بيتِ بعضِ نسائِهِ. فقلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ المسجدَيْنِ الذي أُسِّسَ على التَّقوَى؟ قال: فأَخَذَ كَفًّا من حَصْبَاءَ

فضربَ به الأرضَ، ثمّ قال: "هو مسْجِدُكُم هذا" (لِمَسجدِ المدينةِ)، قال: فقلتُ: أشهدُ أنّي سمعتُ أباك هكذا يذكُرُه"[13].

فمن خلال هذا الحديث ندرك أنّ الصّحابة كانوا يعتنون بمعرفة بعض المبهمات الواردة في القرآن الكريم، وذلك بسؤالهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو بسؤال بعضهم لبعض، مثل صنيعهم هنا بسؤالهم عن المسجد المقصود في الآية، ألا وهو مسجد قباء، ومنه ردّ كلّ الأقوال التي قالت غير ذلك، قال الإمام النّووي عقب شرحه لهذا الحديث ما نصّه: "هذا نصّ بأنّه المسجد الذي أسس على التّقوى المذكور في القرآن، ورَدّ لما يقوله بعض المفسّرين أنّه مسجد قباء، وأمّا أخذه صلّى الله عليه وسلّم الحصباءِ وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح، لبيان أنّه مسجد المدينة، والحصباء بالمد الحصى الصّغيرة"[14].

2-كذلك ما روي عن ابن عبّاسٍرضي الله تعالى عنهما قال: مَكثتُ سنةً أُريدُ أن أسألَ عمرَ بنَ الخطَّابِ عن آيةٍ فما أَستطيعُ أن أسأله هَيْبَةً له، حتَّ خرج حاجًّا فخرجتُ معه فلمَّا رجَعْنا وكنّا ببعضِ الطَّريقِ عدَلَ إلى الأَرَاكِ[15] لحاجةٍ له، قال: فوقفتُ له حتَّى فرغ ثمّ سرْتُ معه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين منِ اللّتانِ تظَاهَرَتَا على النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم من أزواجه ؟ فقال: تلك حفصةُ وعائشةُ "[16].

وفي رواية أخرى عن يحيى بنِ سعيدٍ قال سمعتُ عبيدَ بنَ حنينٍ يقولُ سمعت ابنَ عبَّاسٍ يقولُ: كنتُ أريدُ أن أسألَ عُمرَ عن المرأتين اللّتين تظَاهرَتَا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فمكثْتُ سنةً، فلم أَجدْ له مَوضعًا حتى خرجتُ معه حَاجًّا فلمَّا كُنَّا بظَهْرَانَ[17] ذهب عمرُ لحاجَتِه، فقال: أدركْني بالوضوء فأدْرَكْتُه بالإدَاوَةِ فجعلت أَسكُبُ عليه الماءَ، ورَأيتُ موضعًا فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ من المرأَتان اللَّتان تظَاهرتَا ؟ قال ابنُ عبَّاسٍ: فما أَتْممت كلامِي حتى قال: "عائشة وحفصة"[18].

3- وممّا يدلّ كذلك على عناية السّلف الصّالح بهذا العلم هو ما أثر عن عكرمةرضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ النّساء الآية: 100. قال عكرمة مولى ابن عباس: " طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرةَ سنةً حتَّى وجدتُه"[19].

وفي حديث ابن عباس وقول عكرمة دلالة واضحة أيضًا على عناية ذلك الجيل بهـــذا العلم واشتغالهم به، قال الإمام السُّهيليّ: "فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاستِه عندهم والله عزّ وجلّ يعظم الأجر في تعريف ذلك، ويجزل الذّخر ويحفظنا في جميع أحوالنا من السّمعة والرّياء"[20]، وكذلك يفهم من صنيعهم هذا أنّ الاشتغال به حسن وفضل، قال الإمام السُّهيليّ بعد ذكره لقول عكرمة: "وفي قول عكرمة دليل على شرف هذا العلم قديما وأنّ الاعتناء به حسن، وأنّ المعرفة به فضل"[21]، وقال كذلك الإمام السّيوطي عقب ذكره لحديث ابن عبّاس ما نصّه: "قال العلماء هذا أصل علم المبهمات "[22].

ثالثًا: كثرة التّأليف فيه:

فإنّ النّاظر فيما كتب قديمًا وحديثًا في علم المبهمات وما يتعلق به، يجد عـــددًا لـــيس قليلاً من الكتب والتّآليف في هذا العلم، وهذه المؤلفات أوردها فيما يلي:

- "التّعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن" للعلاّمة عبد الرّحمان السُّهيلي.
- "التّكميل والإتمام فيما أبهم من القرآن" لابن عسكر.
- "غرر التّبيان في من لم يسم في القرآن" لبدر الدّين ابن جماعة.
- "صلة الجمع وعائد التّذييل" للإمام البلنسي.
- "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" للإمام السّيوطي.
- "الياقوت والمرجان لمبهمات القرآن" للدكتور عبد الجواد خلف.

وغيرها من المؤلفات التي تدلّ على اهتمام العلماء بهذا العلم، وإعطائه جانبًا من الأهمية بإفراده في التّأليف، فهذا وإن دل على شيء فإنّما يدل على شرف هذا العلم وفضله.

رابعًا: عناية كتب علوم القرآن بهذا العلم:

فقد أُفرد بباب خاصّ كما فُعِلَ بأنواع علوم القرآن الأخرى، وهو بارزٌ في أمهات كتب علوم القرآن، كالبرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزّركشي، حيث جعل النّوع السّادس من أنواع علوم القرآن؛ علم المبهمات، والإتقان والتّحبير كلاهما للإمام السّيوطي حيث جعله في الكتاب الأوّل النوع السّبعين وفي الكتاب الثّاني النّوع رقم مائة، وكذلك ابن عَقِيلة المكّي في كتابه الزّيادة والإحسان في علوم القرآن حيث جعل النّوع الرابع والثلاثين بعد المائة علم مبهمات القرآن.

وبناءً على ما سبق ذكره يمكن القول بأنّ علم المبهمات علم له أهميته وفائدته وقيمته كبقية علوم القرآن وإن تفاوتت في ذلك، إلاّ أنّه يمكن أن نعتبره من العلوم التي لا يمكن لأي دارس لعلوم القرآن أن يجهله.

صورمبهمات القرآن.

إنّ المبهمات الموجودة في القرآن الكريم كثيرة، كما أنّها قد وردت في صور وأنواع مختلفة، وأوّل من استنبط أنواع وصور المبهمات الموجودة في القرآن الكريم -بالتّتبع والاستقراء-؛ هو العلاّمة جلال الدّين السّيوطي في كتابيه الإتقان والتّحبير، **أمّا في كتابه الإتقان فقد** قسّمها إلى قسمين[23] وهما:

- **القسم الأول:** فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا لم يرد به العموم.
- **القسم الثاني:** في أسماء الجموع الذين عرف بعض أسمائهم.

وأشار **إلى القسم الثّالث** لكن لم يمثل له؛ وهو مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك. وذكَر بأنّه استوفى الكلام عليه في مؤلّفه حول علم المبهمات؛ وهو بعنوان "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن"، ولكن يبدو أنّ الإمام السّيوطي قد وهم لأنّه لم يتعرض إلى هذه الأقسام في مؤلّفه "مفحمات الأقران"، وإنّما تعرض لها بالشّرح

والتّفصيل في "كتابه التّحبير في علم التّفسير"، أو يكون الذي حقق[24] كتاب "مفحمـــات الأقران في مبهمات القرآن" لم يتمكن من الحصول على النسخة التي ذكرت فيـــه أنـــواع مبهمات القرآن أي أنّها ضاعت- والله أعلم-.

وأمّا الكتاب الثّاني فهوالتّحبير في علم التّفسير فقد قسّم فيه مبـــهمات القـــرآن إلى أربعة أقسام[25] أي أنّه زاد قسمًا على ما ذكره في الإتقان، وهي على النّحو الآتي:

- **القسم الأوّل**: فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عـــرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا كان نصًّا للواحد.
- **القسم الثّاني**: مبهمات الجموع.
- **القسم الثّالث**: في المبهم من أسماء الحيوانات والأمكنة والنّجوم ونحوها.
- **القسم الرّابع**: في المبهم من أسماء الأيّام واللّيالي وسائر الأزمنة.

ونحن هنا استنادًا واعتمادًا على ما سبق، مع نظر وتأمل في ما حوته تلك التّقاسيم من معارف يمكن تقسيم هذه المبهمات إلى نوعين رئيسين مع الشّرح والتّمثيل لكن نوع منهما، وهي كما يأتي:

أوّلا: مبهمات يجب التّوقف فيها ولايجوز البحث عنها.

وهو كلّ مبهم استأثر الله بالعلم به، وأخبرنا بذلك، وهذا النّوع من المبهمات يجب التّوقف فيه والخوض فيه محرّم، ولا يصّح معرفته، قال الزّركشي في كتابه البرهان: "... إلاّ أنّه لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه"[26]، وقال الدكتور خالد بن عثمان السّبت بعد أن ذكر ما قـــرره الزركشي ما نصّه: "... ويتأكّد هذا الأمر حينما يكون المبهم ممّا أخبر الله تعـــالى باختصاصـــه بعلمه، ونفي ذلك عن الخلق فإنّ البحث عن مثل هذا سعي في متاهة، وسيرٌ في عماية، والـــذم الذي يلحق صاحبه آكد من الذّم الذي يلحق على الأوّل"[27]، وقال الدكتور عبد الجواد خلف: "مبهمات يجب التوقف عنها، ولا يصّح الخوض فيها أو البحث عن المراد منها وهو كل مبـــهم

استأثره الله تعالى بعلمه وأخبرنا عنه بذلك"[28]، والمثال على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ لقمان: 34. فمتى تقوم السّاعة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ثانيًا: **مبهمات يجوز البحث فيها وطلب معرفتها**: المراد بهذا النّوع هو الأسماء التي لم يصرّح بها في القرآن الكريم من الأعلام والأزمنة والأمكنة وغير ذلك ولم يرد في الشّرع نهيٌ عن البحث فيها وبيانها، فحكمها إذن هو جواز الكشف عنها، علمًا أنّ جلَّ المبهمات الواردة تكاد تكون من هذا النّوع، الذي ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

القسم الأول: **مبهمات الأشخاص والملائكة التي أريد بها التّعيين**.

وهو كلّ ما أبهم في القرآن من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا لم يُرد به العموم وأريد به التّعيين، والأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾المائدة: 27.

المقصود من ﴿ ٱبْنَىْ ءَادَمَ ﴾ في الآية هما قابيل وهابيل، وهذا الأخير هو المقتول، وفي هذا يقول الإمام أبو جعفر الطّبري عقب تفسيره لهذه الآية: "... وكان المقرَّبان ابني آدم لصلبه أحدهما: هَابيل، والآخرقَابيل"[29]، ثمّ ساق الرّوايات في ذلك. وقال الإمام السّهيلي في بيانه للمبهم في هذه الآية: "وإنّما هما من بني آدم لصلبه وهما قابيل وهابيل..."[30]. فهذا المثال من الأمثلة عن المثنى المبهم الذي عرفت أسماؤهما.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾الشّعراء: 193 – 194.المبهم في الآية هو قوله: ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ والمراد به جبريل عليه السّلام، وإلى هذا المعنى ذهب جماهير أهل التّفسير، قال ابن عطية الأندلسي: "﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ جبريل عليه السّلام بإجماع"[31]، وقال الإمام ابن عاشور: " ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ جبريل وهو لقبه في

القرآن، سمّي روحًا لأنّ الملائكة من عالم الروحانيات وهي المجرّدات"[32].ونلاحظ في هـــذا المثال أنّه من مبهمات الملائكة التي يراد بها ملك معيّن.

القسم الثاني: **مبهمات الجموع الذين عرفت بعض أسمائهم**: المراد بهذا النّـــوع هـــو: المبـــهمات الواردة في القرآن الكريم بصيغة الجمع لكن لا نستطيع بيان كلّ من أُريد بهذه الجموع وإنّما يمكن معرفة بعض أسمائها، قال الإمام السّيوطي رحمه الله: "هو الذي سُمّيَ بعضهم"[33] أي عرفت بعض أسماء مبهمات القرآن دون آخرين، ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ النّساء: 98.

سُمِّي من هؤلاء ﴿ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عبد الله ابن عباس وأمُّه أمُّ الفَضْلِ، وذلك لما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه عن عُبَيدِ الله بن أبي يزيد قال: "سمعت ابن عبـــاس رضـــي الله عنهما قال: كنت أنا وأمّي من المستضعفين"، وفي رواية أبي مُليكَةَ: "أنّ ابن عبـــاس تـــلا ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾ قال كنت أنا وأمّي ممّن عذر الله "[34].

القسم الثالث: **مبهمات الأمكنة والأزمنة والأعداد**:

هي المبهمات الواردة في القرآن الكريم التي تدلّ على مكان أو زمن أو عدد بعينه، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثـال الأوّل: من الأمكنة التي لم يصرّح بها في القرآن الكـــريم مـــا ورد في قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾النّساء: 75.

المراد بـــ "القرية" في هذه الآية مكّة؛ قال الإمام البلنسي: "...والقرية الظّالم أهلـــها: مكّة"[35]، وقال الإمام أبو جعفر عقب تفسيره لهذه الآية: "... يعـــني بـــذلك أنّ هـــؤلاء المستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان يقولون في دعائهم ربّهم، بأن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين: يا ربّنا أخرجنا من هذه القرية، والعرب تسمي كل مدينـــة قرية... وهي في هذا الموضع -فيما فسّره أهل التّأويل- مكّة"[36].

المثال الثّاني: ومن الأزمنة التي لم يَرد التّصريح بها في القرآن ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾التّوبة: 36.

فالمراد بـــ: "الأشهر الحرم" في هذه الآية هي ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم ورجب، لما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه عن أبي بكرةَ رضيَ اللهُ عنه، عن النّبيِّ صــلّى الله عليــه وسلّم، قال: "الزّمان قدِ استدارَ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عشــرَ شهْرًا، منها أربعةٌ حرمٌ، ثلاثَةٌ متوالياتٌ: ذُوالقِعْدَةِ وذُوالحجَّةِ والُمحَرَّم، ورجَبُ مُضَرَ، الذي بين جُمَادَى وشَعْبَانَ"[37].

القسم الرّابع: **مبهمات الحيوانات والنّباتات والكواكب**:

هذا النّوع في كتاب الله تعالى قليل بالنّظر إلى الأنواع الأخرى الكــثيرة، كمــا أنّ كشف وبيان مبهمات هذا النّوع غالبًا لا يكون إلاّ بالاعتماد والنّظر في روايات أهــل الكتاب، وكثيرًا ما تكون هذه الروايات متعددة أو متضاربة أحيانًا، ومن الأمثلة علــى ذلك ما يأتي:

المثــال الأوّل: قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾البقرة: 260.

وردت روايات عديدة في بيان نوع الطّيور التي أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه إبــراهيم الخليل عليه السّلام أن يأخذها، قال الإمام الطّبري: "يعني بذلك جلّ ثناؤه: قــال الله لــه: فخذ أربعة من الطّير. فذكر أنّ الأربعة مــن الطّــير: الــدّيك والطّــاووس، والغــراب، والحمام"[38]. وروى هذا القول مجاهدوابن جريج. وروي عن ابن عباس أنّه قــال: "هــي الغرنوق، والطّاووس والدّيك والحمامة". وروي عنه أيضًا قال: "أنّه أخذ وزًّا ورألاً – وهو فرخ النّعام–، وديكًا وطاووسًا"[39]. إلى غير ذلك من الأقوال التي ذكرت في بيان أنواع هذه الطّيور.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾الفتح: 18.

قال الإمام السّهيلي في بيانه لنوع الشّجرة التي بايع تحتها الرسول صلى الله عليه وسلّم ومن معه من المؤمنين ما نصّه: " كانت الشجرة سَمُرَة[40]، فهي من شجر العضاه[41]... "[42]، وقال بدر الدين ابن جماعة:

"﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة من عضاة الحديبية، كان جالسًا تحتها في بيعة الرضوان"[43].

ومنه فإنّنا نرى أنّ هذا المثال يدخل في مبهمات النباتات التي لم يصرّح بنوعها في القرآن الكريم.

وفي الختام يعتبر هذا التّقسيم باعتبار الغالب، لأنّه توجد بعض الجزئيات التي عدّها ممّن تكلّم في علم المبهمات من الإبهام، بيد أنّها لا تندرج تحت أيّ قسم من الأقسام السّالفة الذّكر، ومثال ذلك نوع الجزء من البقرة الذي ضرب به القتيل في قصّة موسى عليه السّلام[44]، فقد تكلّمت عنه كتب المبهمات وكتب التّفسير ببيان نوعه لكنّه لا يندرج تحت أيّ قسم من الأقسام السّابقة. والله أعلم.

الهوامش:

1- معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد ابن فارس. تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون. دار الفكر: بيروت. 1399هـ، 1989م. باب الهاء وما بعدهما في الثلاثي. ج1. ص 311.

2- تهذيب اللّغة. لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري. تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، محمود فرج العقدة. راجعه: علي محمّد البجاوي. الدار المصرية للتّأليف والترجمة: مصر. مادة "بهم". ج6. ص337.

3- الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط2، 1419هـ، 1998م. ص33.

4- المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الحسين بن محمّد (الرّاغبالأصفهاني) . تحقيق: محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة: بيروت. ص64.

5- التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام. عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق عبد الله محمّد علي النقراط. منشورات الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي: طرابلس. ط1، 1401هـ، 1992م. ص 50.

6- غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن. بدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المعروف: بابن جماعة. دراسة وتحقيق: عبد الجواد خلف. دار قتيبة: دمشق. ط1، 1410هـ، 1990م. ص 191.

7- مباحث في مبهمات القرآن سورتي الفاتحة والبقرة. عبد الجواد خلف. دار البيان: مصر. ط1، 1412هـ، 1992م. ج1. ص 29.

8- أنواع التّصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. مساعد بن سليمان الطّيار. دار ابن الجوزي: المملكة العربية السّعودية. ط2، 1423هـ. ص191.

9- التّعريف والإعلام. عبد الرّحمان السُّهيلي. تحقيق: عبد الله محمّد علي النّقراط. ص50.

10- التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام. محمّد بن علي الخضِر الغسّاني (ابن عسكر) . تحقيق: حسن مروة. دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: بيروت. ط1، 1418هـ، 1997م. ص34.

11- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل. لأبي عبد الله محمّد بن علي البلنسيّ. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط1، 1411هـ، 1991م. ج1. ص101.

12- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار الهدى: الجزائر. ص7.

13- الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث: مصر. كتاب الحج. باب بيان أنّ المسجد الذي أسس على التّقوى هو مسجد النّبي صلّى الله عليه وسلّم. حديث رقم: 1398. ج2. ص 1015.

14- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لمحيي الدّين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النّووي. مؤسسة قرطبة. ط2، 1414هـ، 1994م. ج9. ص 240.

15- الأَرَاك: هو شجر معروف طيّب الرّيح يُستاك به. ينظر: غريب كلمات صحيح البخاري. عبد المتعال محمّد الجبري. ص29.

16- الجامع الصحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. قام بشرحه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه، وقام بإخراجه وأشرف على طبعه: قصيّ محب الدين الخطيب. المطبعة السّلفية: مصر. ط1، 1400هـ.كتاب التّفسير. باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. حديث رقم: 4913. ج3. ص 313. الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. كتاب الطّلاق. باب في الإيلاء واعتزال النّساء وتخييرهنّ. ج4. ص190.

17- ظَهْرَان: واد قرب مكّة، وعنده قرية يقال لها مرٌّ، تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرُّ الظهران، وهو ما يعرف اليوم بالجموم على أكيال من مكة. ينظر: معجم البلدان. لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد

الله الحموي البغدادي. دار صادر: بيروت. 1397هـ، 1977م. ج4. ص 63. مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفيّ الدّين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل: بيروت. ط1، 1412هـ، 1992م. ج2. ص 906.

18- الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب تفسير القرآن.بــاب ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾. حديث رقم: 4915. ج3. ص314.

19- الجامع لأحكام القرآن والمُبيّنُ لما تضمَّنَه من السّنة وآي الفرقان. لأبي عبد الله محمَّدِ بنِ أحمدِ بــن أبــي بكرٍ القُرطبيِّ. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1427هـ، 2006م. ج1. ص46.

20- التّعريف والإعلام.عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق: عبد.أ. علي مهنّــا. دار البــاز: مكــة المكرّمــة. ط1، 1407هـ، 1987م. ص 16.

21- المصدرنفسه. ص 16.

22- مفحمات الأقران. جلال الدين السّيوطي. ص 8.

23- ينظر: الإتقان في علوم القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية: المملكة العربيــة السعودية. ج6. ص 2022 إلى 2096.

24- ممّن حقّقه مصطفى ديب البغا.

25- ينظر: التّحبير في علم التّفسير. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: فتحي عبــد القــادر فريــد. دار العلــوم: الرّياض. ط1، 1402هـ، 1982م. ص 391 إلى 436.

26- البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار التّــراث: مصــر. ط1، 1404هـ، 1984م. ج1. 155.

27- قواعد التّفسير. خالد السّبت. ج2. ص 718.

28- مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 17.

29- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري. تحقيق: عبد المحسن التّركي. دار هجر: مصر. ط1، 1422هـ، 2001م. ج8. ص316، 317.

30- التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: عبد الإله مهنّا. ص 49.

31- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلســي. تحقيــق: عبــد السلام عبد الشافعي محمّد. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2001م. ج4. ص 242.

32- تفسير التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التّونسية للنشر: تونس. ج19. ص 189.

33- التّحبير في علم التّفسير. جلال الدّين السّيوطي. ص407.

34- الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب التّفسير. سورة النّساء. باب ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾. حديث رقم: 4587. ج3. ص218، 219.

35- صلة الجمع وعائد التذييل. البلنسي. ج1. ص 241.

36- جامع البيان. الطّبري. ج 7. ص 225.

37- الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب بدء الخلق. باب ما جاء في سبعِ أرضــينَ. حــديث رقم: 3197. ج2. ص 420.

38- جامع البيان. الطّبري. ج4. ص633.

39- ينظر: تفسير القرآن العظيم. ابن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمّد الطّيب. مكتبة نزّار الباز: مكة المكرّمــة. ط1، 1417هـ، 1997م.ج2. ص 511. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ج1. ص 689.

40- السّمُرَة بضم الميم: من شجر الطّلح. ..والسَّمُرُ ضربٌ من العِضاهِ، وقيل من الشّجر صغارُ الورق، قصار الشّوك. ينظر: لسان العرب. ابن منظور. ج23. ص 2092.

41- العِضَاه: هو كلُّ شجرٍ يَعظم وله شوك. ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بــن حمّــاد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين: بيروت. ط3، 1404هـ، 1984م. ج 3. ص 2240.

42- التّعريف والإعلام. تحقيق: عبد الإله مهنّا. ص 159.

43- غرر التّبيان. بدر الدين ابن جماعة. ص 482.

44- من الأمثلة كذلك التي لا تندرج تحت أي صنف من الأصناف السّابقة نوع الصّــنم فــي قولــه تعــالى: ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ الأعراف: 138، واسم الريح في قوله تعــالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ القمر: 19، والمراد بالصّلاة في قوله تعــالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ البقرة: 238.